توجيهه الانكار الى نفس الكفر بان يقال انكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده فقد
انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل **وكنتم امواتا** الى اخر الاية حال من ضمير الخطاب
في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشئون العظيمة الداعية الى الايمان
الرادعة من الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد
خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش
اي في اي حال او على اي حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر
واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقه
على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله واية لهم الارض الميتة
فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونكم امواتا وان
توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه **ثم يميتكم** اي عند تقضي
اجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي
هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان
الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال
في القبور فايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان من زمان الموت المستمر **ثم اليه ترجعون**
بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم
للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا لا يلتبس تعالى شيء منها لما هو حال منه في الحال
لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه
الاحوال الشائعة ولا العجب من وقوعه مع تحقق ما يقتضيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء
الاخير والمرجع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما
عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك الفعل في ازاحة العلل والاعذار والحق حققه
في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية لكونها من طلائعها
وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يقال
على ما يقابل كل مرتبة من المراتب قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال الله تعالى اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعنده
تعالى ما يراد بهما صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته
تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام **هو الذي خلق لكم ما في الارض**
جميعا تقرير للانكار وتاكيد له من الجهتين المذكورتين غير سبكه عن سبك ما قبله

اتحادهما

اتحادهما في الحق ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر
ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بما يشاهدونه وما يجري مجراها وفي جعل اقصى
مبتدا والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح
لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في
الارض الموجودات لتنتفعوا بها من امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال
بها على شئون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الاخرة
والامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو
نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول
الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل
في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة
المعاش فقط واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر ومما لا يتعلق به الا
وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد
بالفعل **ثم استوى الى السماء** اي قصد اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء اخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم
استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات
لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله تعالى عنه خلق الله
الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق
منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما
واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الاظهر وكلمة ثم للايذان
بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض
المتاخر عن وجودها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فما روي عن الحسن رضي
الله تعالى عنه والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة
الوجود واما جهات العلو **فسويهن** اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج
والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء
من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على تقدير كونه
الاول بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى
منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح

Copyright © King Saud University